

المهارات الخمس لتعديل سلوك لطفلك

الأستاذ. عبد الوهاب فاطمي
مستشار بيذاغوجي للشباب والطفولة

والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته" متفق عليه

وعلى الرغم من وضوح مسؤولية تربية الأطفال عند الوالدين والمربين، وضوح الشمس في رابعة النهار إلا أننا كثيراً ما نسمع ونشاهد ونقرأ عن بعض انحرافات الأبناء داخل المجتمع، وهي ناتجة عن أساليب تربوية خاطئة، بعضها صادر عن اللامبالاة، والتساهل والغفلة، وبعضها صادر عن ممارسات تسلطية وعن غير ذلك من الأسباب.

والخطورة أن هذه الانحرافات تأتي في الوقت الذي تحتاج فيه الأمة إلى كل طاقاتها لتكون جيلاً قوياً ملتزماً بتعاليم

الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد...

لقد أمرنا الإسلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بتربية الأبناء وحثهم على ذلك وحملنا مسؤولية تربيتهم، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم: 6.

ويقول رسولنا الكريم ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الإمام راع مسؤول عن رعيته والرجل راع ومسؤول عن رعيته

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿الحجر: ٩٢ - ٩٣﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات: ٢٤.

وأكد ابن القيم رحمه الله هذه المسؤولية فذكر أن بعض أهل العلم قالوا: "إن الله سبحانه وتعالى يسأل الولد عن والده فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين والسنة"

لذا فطفلك أيتها الأم الفاضلة عبارة عن صفحة بيضاء يمكن أن تنقشي عليها ما تشائين ففطرته محايدة لم تنتبش بصورة كما يقول ابن مسكويه في "تهذيب الأخلاق" عن نفوس الأطفال في مرحلة المهد إنها ساذجة لم تنتبش بصورة وكما ردد "جون لوك" بعد 13 قرناً من الزمن بأن: "عقل الطفل صفحة بيضاء تنقشه الخبرة والتعلم"

على عكس تربية الكبار وتعليمه ففيها الكثير من الصعوبات والمعوقات، وهذا ما عناه الشاعر بقوله:

وينفع الأدب الأحداث في صغر

وليس ينفع عند الشبيبة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولن يلين إذا قومتها الخشب

ربه وسنة نبيه، مبدعاً، سخيّاً، قادراً على العطاء في كافة المجالات، يعيد الأمة إلى المجد ويواجه تعقيدات العصر، وتحدياته المختلفة بكل حكمة، وقوة، ودراية.

ولقد وضع لنا رسولنا ﷺ قاعدة أساسية مفادها أن الابن يشب على دين والديه، وهما المؤثران القويان عليه.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ "ما من مولود يولد إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

ويقول أبو العلاء:

وما ينشأ ناشء الفتيان منا

على ما كان يعودده أبوه

وما دان الفتى بحجى ولكن

يعوده التدين أقربوه

لهذا نجد الإسلام حمل الآباء، والأمهات، والمربين جميعاً مسؤولية التربية إلى أبعد حدودها، وفي أوسع مراميها، وحذرهم، وأنذرهم أن الله سبحانه سائلهم يوم القيامة عن هذه الأمانة هل أدوها؟ وعن هذه الرسالة هل بلغوها؟ وعن هذه المسؤولية هل تحملوها؟ قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

نفسية قد تكون معقدة.

- يزيد من روابط الثقة والمحبة بين الوالدين والطفل، لأن الطفل يحس بالطمأنينة والارتياح إذا عالج الوالدان خطأه دون أن يذكره أمام الناس أو إخوانه أو أصدقائه، مما يؤدي إلى استعداده النفسي والفكري لتصحيح خطئه.

- يعدل سلوكات سلبية موجودة في أطفال آخرين، ربما يكونون إخوان الطفل المقصود، فمثلاً عندما تقول الأم: "ما بال الأطفال يغتابون الجيران" فلعل هناك أطفالاً آخرين من إخوته أو أصحابه واقعين في الغيبة من غير الذين تقصدهم، فينتبه هؤلاء وكذلك المقصودون إلى خطئهم فيعالجونهم، يعرضون عن سلوك غير مرغوب فيه. ولهذا فهي مهارة تعطي الفرصة للطفل ليراجع سلوكه يصحح خطأه.

2- مهارة التوجيه المباشر:

ها هو القدوة العظمى سيدنا محمد ﷺ يستخدم مهارة التوجيه المباشر لتغيير السلوك غير المرغوب فيه عند الولد.

عن عمر بن أبي سلمة ﷺ عنهما قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ أي

ولأن هذه الطفولة مرحلة نمو من أخطر مراحل حياة الإنسان وأكبرها أثراً في النفس لكونها مرحلة البناء الفعلي للشخصية.

فقد اخترت أن أشارك بموضوع من الأهمية بمكان ألا وهو "5 مهارات لتعديل سلوك الطفل"، وفق فكر ومنهج الخطاب التربوي الإسلامي الذي انتهجه سلفنا الصالح في أولادهم، وفي ضوء نظرية علم نفس الطفل والتربية الحديثة، التي وجهنا إليها رسولنا محمد ﷺ قبل 14 قرناً، وذلك حتى نعد مشروع الرجل، ولا غربة في أن التربية الإسلامية للطفل كانت تنظر إليه على أنه كذلك.

1- مهارة التعريض:

يعد أسلوب التعريض من الأساليب التربوية المهمة لتغيير السلوك قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ ولكن أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"

من فوائد هذه المهارة:

- يحفظ شخصية الطفل عند إخوانه وأصحابه، وجيرانه، فلا يقل شأنه ومترتبته بينهم، وهذه فائدة تربوية تفيد عدم إصابة الطفل بالإحباط الذي تترتب عليه أمراض

للأسف الشديد يخطئ الكثير من الآباء والأمهات في وقتنا الحاضر عندما يرون سلوكاً غير سوي من أولادهم فإنهم يغضبون أشد الغضب وينادوهم بأقبح الأسماء، "يا كلب، يا حمار"، وهذا بلا شك يؤدي إلى نفور الأبناء من تقبل النصائح.

علاجي المشكلة من أساسها كما عالج

الرسول ﷺ طيشان يد الولد عمر الصغير بالاناء حيث جعل التصحيح منذ البداية الأولى، وهي الجلوس للأكل، بل قال: "يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك" على الأمهات والآباء أن يعالجوا المشكلة من جذورها، فليس هناك فائدة في أخذ السجائر من يد الولد أو حرمانه من مصروفه حتى لا يشتريها طالما هو مستمر مع أصدقائه الذين تعلم منهم التدخين، ولن يلاحظ الوالدان استجابته إلا إذا قضوا على أساس المشكلة ومنعوه من مصاحبة أصدقائه السيئين.

استخدمي الترتيب الموضوعي والعلمي

عند العلاج كما استخدمه عليه الصلاة والسلام: "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك" لكون الترتيب الصحيح في حل المشكلة يساعد على الاتقان الصحيح لتصحيح الخطأ:

تحت رعايته"، وكانت يدي تطيش في الصحيفة" أي تتحرك هنا وهناك في إثناء الطعام" فقال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك"

ومن خلال هذا الحديث النبوي نوصي الأم عند تصحيح الخطأ بما يلي:

جالسي طفلك وحاوريه إذا أردت أن

يتقبل النصيحة فقد كان النبي ﷺ يجالس الصغار ويأكل معهم وهذا يدل على قوة الامتزاج بين الكبير والصغير فيستطيع أن يفتح الحوار، والنقاش ويصحح أخطائه ولهذا ما أحرى أن تجلس الأم وكذا الأب مع أولادهم أثناء الطعام حتى يشعر الأبناء بأهمية الوالدين فيقبلوا إيمانه من توجهات سلوكية وإيمانية تربوية.

يجب تصحيح الخطأ مباشرة وأثناء

استمراريته قبل أن يتحول إلى عادة مكتسبة عندئذ من الصعب معالجته، لهذا نلاحظ أن رسولنا ﷺ بدأ بمباشرة علاج الخطأ أثناء استمراريته، وهذه لفظة تربوية يجب أن تستفيد منها الأم.

ابدأي كما فعل الرسول ﷺ بمخاطبة

الولد بصيغة محبة إلى نفسه فيكون ذلك أدعى لانتباهه واستجابته للنصيحة "يا غلام"

أولاً: التسمية

ثانياً: الأكل باليمين

ثالثاً: الأكل مما يلي

هئي طفلك نفسياً وفكرياً لتلقي ما

يوجه إليه، فهذا هو رسول الله ﷺ، هياً الغلام وربط قلبه بخالقه عند ابتداء الأكل، فقال: "يا غلام سم الله" وهذا توجيه فطري لفكر الصغار لحب الله وإشعارهم بأنه هو الذي رزقهم الطعام ولو لا رزقه لهلكنا من الجوع والعطش، وهكذا يزداد حب الأطفال لله تبارك وتعالى وعندما يحبونه يتكون لديهم الاستعداد النفسي والفكري لتلقي ما يأمر به الله سبحانه وتعالى .

3- التوبيخ:

يعتبر التوبيخ من المهارات التربوية المهمة لتعديل السلوك لو استخدم استخداماً صحيحاً مناسباً.

مثال ذلك: سامي طفل في العاشرة من عمره وسكب كوباً من الحليب دون أن يقصد وهو جالس مع والديه حول مائدة الإفطار.

فصرخت الأم في وجهه قائلة: أعتقد

أنك في سن تجعلك تعرف كيف تمسك الكأس، كم مرة قلت لك أن تأخذ حذرك لكنك كالعادة لا تسمع الكلام، ثم علق

الأب غاضباً: لن يفعل لأنه غبي، وسيبقى غبياً طول حياته.

لقد سكب سامي قليلاً من الحليب، لكن هجوم والديه غير المعتمد كان قاسياً على شخصيته، فبسبب له ألماً نفسياً سيظل أثره يفعل فعلته في نفسه زمناً طويلاً، وقد يفقده الكثير من ثقتة بنفسه كما أنه لن يجعله راغباً في تحسين سلوكه وكان من المفروض أن يتعامل هذا الوالدان مع طفلهما بأن يوجها لومهما للتصرف الخاطئ الذي ارتكبه سامي لا لسامي نفسه.

مثال آخر: عمر طفل يبلغ من العمر

ثمان سنوات سكب كوباً من الحليب على مائدة الإفطار دون أن يقصد.

علقت الأم: بهدوء بعد أن تعلمت

أسلوب النقد البناء:

لقد سكبك الحليب عليك الآن تنظيف

المائدة، ونهضت لتأتي بإسفنجة مبلولة وأعطتها لابنها قائلة:

خذ يا عمر الإسفنجة لتمسح الحليب

الذي سكبته.

نظر عمر إلى والدته بحب لأنها لم تغضب عليه كعادتها وشعر بالأسف لعدم انتباهه وعاهد نفسه بأن يكون أكثر حذراً

في المستقبل وشكرها قائلاً:

أنا آسف يا أمي وأشكرك.

ولم تقل له أمه:

- كن أكثر حذراً في المرة القادمة مثلاً، لأنها لم تكن راغبة في إفساد إحساسه بالامتنان الذي ارتسم واضحاً على ملامحه، تقول هذه الأم للخبير التربوي الذي أرشدها إلى هذه المهارة وهذا الأسلوب في التوبيخ والانتقاد:

- كنت من قبل أنفعل وأغضب على ابني، ويفلت لساني بتعليقات جارحة تمس شخصيته وتضطرب أعصابي طوال النهار لقد تفاديت اليوم كل هذه المشاعر السلبية في نفسي وأصبحت علاقتي بابني مريحة، وهادئة ووجدته راغباً في تحسين سلوكه.

لذا دعونا نركز على الفعل لا على الفاعل في الانتقاد والتوبيخ.

تطبيق 1:

أصراً ابنك البالغ من العمر 5 سنوات على مشاهدة الرسوم المتحركة بعد السهرة، كيف تعدلين هذا السلوك باستعمال أسلوب التوبيخ.

تطبيق 2:

تأخرت ابنتك البالغة من العمر 10 سنوات مع زميلاتها خارج البيت، كيف ترشيدنها باستعمال نفس الأسلوب.

4- مهارة المقاطعة:

من المهارات والأساليب التربوية لمعالجة خطأ الطفل مقاطعة الأسرة له، وهو نموذج عملي مارسه رسولنا ﷺ:

"ذكر كعب بن مالك حين تخلف عن النبي ﷺ في تبوك قال: نهى النبي ﷺ عن كلامنا، وذكر خمسين ليلة" رواه البخاري. ولهذه المقاطعة فوائد لخصها التربويون فيما يلي:

تشعر المخطئ بذنبه مباشرة عندما تقاطعه الأسرة، والإحساس بالذنب يؤدي به إلى تعديل سلوكه.

تظهر أهمية الأسرة للفرد، ولا يشعر بها إلا من عايشها، وقد ذكر كعب بن مالك هذه لمقاطعة بالتفصيل ومما قاله: "إن الأرض ضاقت علي بما رحبت"، وقد قال ﷺ الجماعة رحمة والفرقة عذاب".

تبين قوة التزام وطاعة الأبناء لأبائهم،

نتيجة تكون شديدة الوقع أو تستمر لمدة طويلة مثالنا على ذلك نتيجة قيادة الطفل في الشارع هي حرمانه من استعمالها لمدة شهرين هذه العقوبة هي قاسية جدا بالنسبة لطفل عمره ثلاث أعوام.

وفي آخر هذا المقال جدول ضمنته أمثلة على النتائج المنطقية للسلوك السيء؛ وإني أسأل الله العظيم أن يجعل هذا الموضوع بصيصا من ضوء لكل من يسعى للنجاح في تربية وإرشاد أولاده إلى الخير والسلوك القويم.

المراجع:

- 1- الثواب والعقاب في تربية الأولاد/ علي بدوي 1998
- 2- أخطاء تربوية شائعة/ أم حسان الحلو/ دار ابن حزم/ بيروت/ 1994
- 3- دور الأسرة في التربية/ سعيد عبدالله حارب/ دار الأمة/ دبي 1987
- 4- كيف تغير سلوك طفلك/ محمد ديماس/ دار ابن حزم/ بيروت/ 1999
- 5- سياسات تربوية خاطئة/ محمد ديماس/ دار ابن حزم/ بيروت/ 1999
- 6- دور البيت في تربية الطفل

وهذه بيئة خاصة لإيجاد المقياس الحقيقي لقوة الالتزام لدى الأسرة.

تولد في نفوس أعضاء الأسرة بأن من يرتكب هذا الخطأ، أو ما يماثله فإنه سيقاطع مثلما قواطع هذا وذلك يؤدي إلى بث خشية عند أفراد الأسرة أن يقعوا في مثل هذا الخطأ أو ما يماثله وهذه تربية غير مباشرة لمعالجة الخطأ.

5- العقاب المنطقي:

ويعني به علماء التربية اللجوء إلى معاقبة الطفل بسلوك آخر منطقي.

ففي بعض الأحيان يجد الأهل أن ترك الولد ليعاقب بفعل النتائج الطبيعية لسلوكه السيء. قد يعرضه إلى مخاطر تلحق به وبالتالي لا مفر من استخدام العقاب المنطقي.

مثلا: لا يغامر الوالد بترك ابنه يقود دراجته في الطريق لاحتمال تعرضه للدهس كعقوبة طبيعية لسلوكه هنا يتدخل الأب بعد التنبيه على مخاطر هذا السلوك فيمسك عنه دراجته لفترة من الزمن عقابا له على عدم طاعته لأمر أبيه.

وعندما يتم الأخذ بمبدأ النتيجة المنطقية للسلوك السيء فإنه من الأهمية بمكان تجنب

المسلم/خالد أحمد شنتوت/جدة ط3/
دار المطبوعات الحديثة/1990

النتائج المنطقية للسلوك السيء؛

النتائج المنطقية	السلوك السيئ
1- حجزها لمدة أسبوع	1- قيادة الدراجة في الشارع
2- عدم إعطائه علكة	2- مضغ العلكة ومن ثم وضعها على الأثاث والمفروشات، أو إلصاقها بالشعر والثياب
3- نقل الهرة إلى مكان آخر وحرمانه منها	3- تعذيب الهرة الصغيرة
4- حجب السكاكر والشكولاتة عن الولد إلى أن يعود إلى تنظيف أسنانه	4- الامتناع عن تنظيف الأسنان بالفرشاة
5- إلغاء ذهاب الأسرة إلى الحديقة	5- شجار الإخوة والأخوات في أوقات كل صباح
6- الحرمان من الحلويات	6- عدم تناول الوجبة الأساسية في الغداء

